15 em Année No. 741

Lundi — 51 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الأســـتاذ فارس الخورى

أو عبقرية البيان

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

تكتب عن عبقرية البيان عند ما تكتب عن الأستاذ الجليل فارس الخورى مندوب شقيقتنا سورية فى مجلس الأمن ، لأن الرجل ولا شك من أصحاب هذه العبقرية فى طرازها الرفيع ، ومن فرسان ميدان الخطابة فى عالم السياسة وفى عالم الثقافة على الإجمال .

وعبقرية البيان معادن وألوان يعلو بعضها فوق بعض درجات .

فهى على صورتها الشائعة لا تعدو أن تكون ذراية فى اللسان وانطلاقاً فى القدرة على مجرد الكلام .

ولكنها إذا بلغت ذروتها العليا لم يغنها هذا الزاد وحده من أزوادها الكثيرة ، ومنها ملكة التعبير الصحيح ، وبصاعة الحجة ، وحضور البديهة فى مواقف الارتجال ، والإتيان بجوامع الكلم فى مواضعها ، لقوة التوفيق بين المعانى الراجحة والألفاظ الواضحة ، أو قوة التوفيق بين الفكر واللسان .

وكل ما قرأناه من كلام الأستاذ الجليل ، أو قرأناه من الكلام عنه ، يدل على هذه العبقرية فى أرفع طراز عُرف به خطيب من خطباء هذا الزمان .

فاقتياد أعنة الكلام — ولو فى لسان غير لسانه العربى — سايقة فيه منذ صباه إلى أيام كهولته — أو شيخوخته — التى نسأل الله أن يبارك فيها .

كتب عنه زميله الكبير الأستاذ خليل ثابت بك فقال إنه لم يكن يعرف التركية فتعلمها بعد إتمام دراسته وملك ناصيتها حتى استطاع أن يخطب بها فى المحاكم وفى المجالس النيابية ، ولم يكن يعرف الفرنسية فتعلمها بعد أن جاوز الخمسين وأصبح من خطبائها المعدودين . وهذا عدا الإنجليزية التى تعلمها فى أيام دراسته بالجامعة الأمريكية فى بيروت .

والبديهة الحاضرة فى الأجوبة المسكتة ملكة لازمة من ملكات هذه العبقرية ، وهى عنده على قسط واف فى مقام الجد ومقام الفكاهة .

روى عنه تلميذه الأستاذ على الطنطاوى فى مقال كتبه بالرسالة أن تلميذاً من تلاميذه فى كلية الحقوق سأله يوماً : ما فائدة هذه الحروف اللثوية ، ولماذا نقول ثاء ، وظاء ، فنخرج ألسنتنا ونضطر إلى هذه الغلاظة ؟

فما هو إلا أن سمع السؤال حتى أجاب متهكما : لا فائدة لها أبداً — وسنتركها فنقول : كسر الله من أمسالك !!

ومن أصغى إلى هذا الخطيب المطبوع وهو يتكلم علم أن أداة البيان قد تمت له حساً ولفظاً كما تمت له بداهة ومعنى . فصوته من تلك الأصوات « النفنية » كما يقولون فى اللغات .

الأوربية ، لا تحس فيه جهداً ولا حاجة إلى الجهد ، لأنه يملأ عليك جوانب السمع كأن له عشرة أصداء تتكرر معه كما قال الأستاذ الطنطاوى فى وصفه وهو يلقى قصيدته الرائية التى استقبل بها حافظ ابراهيم رحمه الله .

ومن تمام ملكات التعبير فيه أنه يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور ، ولا شك أن الشعر يدخل أحياناً فى عداد ملكات الخطابة من حيث هو إبانة وتعبير ، وقد أسلس له قياده بهذا الزمام فجاءت له فى تلك القصيدة أبيات من عيون الكلام كقوله :

أحافظ حييت الشام تحية ... يفوق عبير الروض منها عبيرها
وألبستها ثوباً من الحمد دونه ... حدائقها فى زهوها وزهورها
وطوقتها بالحب والعطف ربقة ... قلادة أسر لا يفادى أسيرها

وهو نفس فى الشعر يقصر عنه كثير من الخطباء ، وكثير من الشعراء .

على أنه يرتفع بك إلى الذروة من ملكات هذه العبقرية حين يفرغ الحجة الدامغة فى جوامع الكلم التى تملك السمع والعقل دفعة واحدة ، بغير إعنات ولا مشقة على سامعيه .

فليس أسهل ولا أقوى من تفنيده لدعوى المندوب البريطانى حين زعم أن معاهدة سنة ١٩٣٦ معاهدة صحيحة لأنها أبرمت باختيار الطرفين . فلا حاجة — كما قال — إلى دليل على بطلان هذه الدعوى . لأن أمة من الأمم لا تقبل احتلال الأجنبى لبلادها وهى مختارة راضية .

وليس أجمع ولا أمنع من قوله فى هذا الصدد : أن تلك المعاهدة لا تنطوى على التزام تتقيد به بريطانيا العظمى . وإنما هى تفويض من ملك مصر إذا شاءت بريطانيا العظمى أن تنزل عنه فليس فى عملها هذا مناقضة لحرمة المعاهدات .

نعم فهى إذا لم تشأ فإنما تفعل ذلك لأنها ذات غرض ترمى إليه ، ولا تفعله لحرمة فى تلك المعاهدة تحرص عليها .

وينبغى أن تتم أداة العبقرية البيانية هذا التمام لغير الأفذاذ النابهين . فى عصرنا هذا لا نعرف مثلا لهذه الأداة التامة بين فرسان المنابر السياسية غير رجلين اثنين : أحدهما باقعة القتال لويد جورج الوزير الإنجليزى المشهور ، والآخر زعيمنا العظيم سعد زغلول رحمه الله

هما أيضاً كانا يملكان الحجة المسكتة فى مقام الجد والفكاهة

كان لويد جورج يخطب عن أعماله التى ينوى القيام بها إذا ظفر بكرسى النيابة ، فتصدى له لحام سليط اقتحم الجمع بلوثة الفحم والشحم فى ثيابه ، فسأل الخطيب ليحرجه : دعنا من كل هذا وقل لنا ماذا تنوى أن « ترخص » لنا من ضرورات المعيشة؟

فما هو إلا أن سمعه حتى أجاب بكلمة واحدة : الصابون !

فكان الحرج والسخرية من نصيب السائل دون المسؤل

وكان بعض « المتطرفين » يتعمدون إحراج سعد فى سياق الكلام عن خزان جبل أوليا ، بالسودان : فسألوه : هل هو ضار أو مفيد ؟

فما زاد على أن قال : هو مفيد مع اتحاد المالك ...

فلم يجرؤ على الاعتراض أحد يطالب بوحدة مصر والسودان

* * *

ويتشابه هؤلاء العباقرة الثلاثة فى خاصة معهودة بين كثير من أصحاب العبقرية البيانية ، وهى اتصال عقولهم بعقول سامعيهم فى عالم العيان

فهم لا يعنون بالتأليف عنايتهم بالخطاب والحديث . لأن عبقريتهم تتصل بالنفوس فى عالم العيان كما قلنا ، أو حين تتلاقى الحياة بالحياة ، ولم تخلق للاتصال بها فى عالم الفكر المجرد أو من وراء الحجاب

فعبقرياتهم جميعاً أكبر من آثارهم المكتوبة أو المطبوعة . ولولا مذكرات لويد جورج لكان بيانه كله مما أثر عنه فى المجالس والمحافل ، وفى المساجلات والمحاورات

وليس لسعد زغلول ولا لفاوس الخورى — فيما نعلم — مؤلفات تضارع ما طبع عليه كلاهما من الألمعية والفطنة ، وما حصله كلاهما من المعرفة الواسعة والخبرة الصادقة . لأن طبيعة البيان الناطق أن يمتلىء بالحياة حين يتصل بالأحياء .

أطال الله فى حياة العبقرى العربى الجليل ، وكثر الله من أمثاله بالثاء المثلثة التى تخرج من جوانب اللثة جميعها لا كما أرادها تلميذه العجول !! . ونفع الضاد وأهلها بهذا البيان الساحر الذى يقل نظيره بين الخطباء المفوهين ، من فرسان المنابر العالميين .

عباس محمود العقاد